الفصل الأول

١ ـ ميلاد حمزة

٢ ـ طفولة حمزة وصباه

٣ ـ شباب حمزة

٤ ـ حمزة فى مكة مع داود اليهودى

٥ ـ زوجات حمزة وأبنائه

٦ ـ بعثة النبى وموقف حمزة

٧ ـ حمزة يستعيد حياة محمد ﷺ

ميلاد حمزة

كان عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف قد تزوج من صفيـة بنـت جنيـدب بـن حجيـر فولـدت لـه الحارث ابـن عبـد المطلـب وتـزوج فاطمـة بنـت عمـرو بـن عائـذ فولـدت لـه عبـد الله ، والزبيـر وكـان شـاعرا ، وأبـا طالـب وعبد الكعبة وأم حكيم وعاتكة وبره وأميمه وأروى وتزوج من هالة بنت وهيب بن عبد مناف فولدت لـه حمزة والمقوم وحجلا وصفيه ، وتـزوج مـن نتيلـة بنـت خبـاب بـن كليـب فولدت له العباس وضرار وقثم وتزوج لبنى بنـت هاجـر ابـن عبـد منـاف فولـدت لـه عبـد العزى والمكنـى بـأبي لهـب وتزوج ممنعه بنت عمرو ابن مـالك فولـدت لـه الغيداق ابن عبد المطلب .

ولما كان الوقوف على حياة حمزة يقتضى التعرض لنشأته والبيئة الاجتماعية التى نشأ فيها فكان من اللازم أن نتعرض لزوجات أبيه للوقوف على إخوته وأخواته سواء كانوا أشقاء أو لأب .

كان ميلاد حمزة بن عبد المطلب قبل أقل من عامين من عام الفيل وهذا رأى بعض كتاب السيرة وقد رجحناه

على غيره من الآراء لأن الثابت أن رسول الله ﷺ ولد فى عام الفيل والثابت أيضا أن حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وأخوه من الرضاعة فقد أرضعتهما مولاة لأبى لهب تدعى ثويبة ولما كانت الرضاعة عند العرب حولين كاملين فيكون ميلاد حمزة قبل أقل من عامين من عام الفيل .

وقد اعتاد العرب عند التأريخ أن يؤرخوا بحدث هام فقد كان عام الفيل عند العرب من الأحداث الجلل فقد توجه أبرهة الأشرم الحبشى إلى مكة لهدم الكعبة وكان قد بنى بيتا فى اليمن ليحج إليه الناس فلما رأى إعراض الناس عن البيت الذى بناه استعان بالنجاشى ملك الحبشة وطلب منه أن يمده بالفيلة حتى يهدم الكعبة فأجابه النجاشى إلى ذلك وتوجه أبرهة الأشرم إلى مكة ولما دنا من بيت الله الحرام لم يجد أى مقاومة وقد قدم إلى أبرهة الأشرم عبد المطلب ابن هاشم فظن أبرهة لما علم أن القادم إليه كبير مكة أنه جاء ليكلمه فى البيت فاستقبله وإذا بعبد المطلب لا يتكلم فى أمر البيت بل يطلب من أبرهة أن يرد عليه إبله التى أخذها جنوده فأجابه إلى طلبه وقال له حسبتك جئت من أجل البيت فقال عبد المطلب مقولته المشهورة " إن للبيت ربا يحميه "

وقد تقدم أبرهة بجنوده وبالفيلة ليهدم الكعبة فإذا بجماعات من الطير تأتى فى موجات متتابعة لتهاجم أبرهة وجيشه وكان كل طائر يحمل ثلاثة حجارة : حجران فى رجليه وحجر فى منقاره فكانت الحجارة تقذف من الطير فلا تصطدم بشئ إلا هشمته وفر أبرهة ومن بقى معه من الجنود وتذكر بعض الروايات أن أبرهة الأشرم هلك مع الهالكين .

ولقد جعل العرب هذه الحادثة التى حمى فيها الله تعالى بيته من الهدم حادثة للتأريخ فكان مولد رسول الله ﷺ فى عام الفيل وكان مولد حمزة بن عبد المطلب قبل أقل من عامين من عام الفيل .

كان حمزة بن عبد المطلب حسيبا نسيبا فى مكة فإنه ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف سيد مكة صاحب أمرها ، يأمر فيطاع ، ينتصف للمظلوم ويردع الظالم ، يطعم الفقراء والمساكين ، ويجير من طلب الجوار .

أما عن أم حمزة فهى هالة بنت وهيب بن منبه ابن عبد مناف فهى بنت سيد من سادة العرب ومن هنا فقد جمع حمزة بن عبد المطلب بين شرف النسب من ناحية أبيه ومن ناحية أمه .

طفولة حمزة

نشأ حمزة بن عبد المطلب فى عائلة من أشراف قريش وسادتها ولم تختلف طفولته عن طفولة أى صبى من أولاد السادة فقد كان السادة فى مكة يتعهدون أبناءهم من الذكور بالتربية على الفروسية والقتال وكان عبد المطلب أكثر حرصا على تنشئة أبنائه على الفروسية ويرجع هذا إلى أنه حينما هم بحفر بئر زمزم منعته قريش وطلبت أن تشاركه فى الحفر إلا أنه رفض لأنه طبقا للرؤيا التى رآها والهاتف الذى جاءه فى المنام وطلب منه أن يحفر زمزم لم يشرك معه أحد فى هذا الأمر ولم يكن لعبد المطلب فى هذا الوقت غير ولد واحد هو الحارث بن عبد المطلب فقال عبد المطلب لإن رزقني الله بعشرة من الأولاد لأزبحن أحدهم تقربا إلى الله فأعطاه الله اثني عشر رجلا تعهدهم جميعا منذ صغرهم بالتربية على الفروسية والقتال .

ولقد مات عبد المطلب وحمزة فى العاشرة من عمره فعاش حمزة بين أشقائه الذين تدربوا على الفروسية فتعهدوه ودربوه على فنون القتال .

وكما تعلم حمزة من أشقائه الفروسية فإنه تعلم من أخيه الزبير بن عبد المطلب وكان شاعرا وفارسا آداب اللغة العربية وفنونها وتعلم منه أيضا أشعار العرب ولقد أثرت هذه التربية فى حمزة تأثيرا كبيرا فكان يجمع بين أخلاق الفروسية وخيال الشعراء مما جعله مقبولا فى منتديات قريش لحلاوة حديثه واحترامه الكبير وعطفه على الصغير .

وكان أبناء عبد المطلب يخرجون للصيد فاصطحبوا معهم حمزة الذى أظهر مهارة فائقة فى فنون الصيد فبات إخوة حمزة لا يخرج أحدهم للصيد الا واصطحبه معه .

كانت وفاة عبد المطلب حينما كان حمزة فى هذه السن الصغيرة ذات أثر كبير فى تكوين شخصية حمزة ابن عبد المطلب فالنشأة بين الإخوة تختلف عن النشأة فى رحاب الأب ولهذا نشأ حمزة تنشأة أعطته صلابة وقوة إرادة لم تتح لغيره من أبناء السادة فى قريش .

كان اقتصاد مكة يعتمد على التجارة والرعى ووجود بيت الله الحرام عندهم وكانت تجارة قريش مع الشام واليمن فكانت رحلات التجارة تخرج من مكة وتتجه إلى الشام أو إلى اليمن وكان يشترك فى التجارة كل أصحاب الأموال

فـى قـريش فكـان السـادة مـن قـريش يجمعـون الأمـوال ويخرجـون بالقوافـل للتجـارة مـع بـلاد الشـام أو مـع اليمن وعندما تعود القوافل يقوم قائد كل قافلة بتوزيع الأموال ومكاسبها على أصحابها من قريش .

أما عن الرعى فقد كان السادة من قريش يملكون قطعانا من الإبل والأغنام ترعى فى الصحراء ويقوم على شئونها العبيد الذين يملكونهم .

وكان البيت الحرام أحد مصادر الدخل لقريش فقد كان الحجاج يأتون من كل مكان فى الجزيرة العربية لزيارة بيت الله الحرام ولهذا احترف العديد من القرشيين العمل فى تجارة الآلهة أو التماثيل التى كان يشتريها الحجاج من مكة ليتبركوا بها فى بلادهم .لم يكن حمزة بن عبد المطلب بمنأى عن هذه الجوانب من الحياة الاقتصادية فى مكة فقد مات أبوه وهو فى العاشرة وورث بعض العبيد والإبل والأغنام وبعض الأموال التى كان يستثمرها فى التجارة فيما بعد وأيضا كان فى صغره يذهب مع أبيه ثم بعد ذلك مع إخوته إلى الكعبة ليطوف بها ويتبرك بالآلهة أو التماثيل الموضوعة بها أو حولها .

شباب حمزة

كان حمزة قد بلغ عامه الثانى والعشرين يوم وقعت حرب الفجار وكانت هذه الحرب بين قيس عيلان وقريش وكانت بعد الفيل بعشرين عامًا .

وكان سبب هذه الحرب أن البراض بن قيس من بنى بكر قتل عروة بن عتبة بن جابر من قيس وقد تجمعت قيس عيلان لحرب قريش ودارت بينهم حرب الفجار ووقع قتلى من قريش ومن قيس إلى أن نادى عتبة بن ربيعه وكان فى الثلاثين من عمره بالصلح فوافقت قيس عيلان على الصلح وقبلت الدية من قريش فى قتلاها .

ولقد حضر أبناء عبد المطلب حرب الفجار فكانوا فى صفوف المقاتلين من قريش وحاربوا معهم قيس وكانت هذه الحرب البداية لسطوع نجم الفارس حمزة بن عبد المطلب الذى قاتل ببسالة منقطعة النظير وأصبح فارس قريش الأول بعد هذه الحرب ولقد شارك رسول الله ﷺ فى هذه الحرب وكان قد بلغ العشرين من عمره قال رسول الله ﷺ وذكر الفجار فقال: لقد حضرته مع عمومتى ورميت

فيــه بأسهــم . بعــد حــرب الفجار ارتفعــت مكانـة حمزة ابن عبد المطلب فى مكة وانتشر ذكره فى الجزيرة العربية باعتباره من الفرسان الذين لا يشق لهم غبار ومضت حياة حمزة فى شبابه مغلفة بالفروسية فكان يخرج مع القوافل التى تخرجها قريش للتجارة لحمايتها وكان يشترك بأمواله أيضا فى تجارة مكة وعندما لا تكون هناك قوافل خارجة للتجارة فإنه لم يكن يمكث فى مكة كثيرا وكان يخرج إلى الصحراء يقضى فيها الأيام والليالى فى رحلات الصيد التى كان يعشقها وفى إحدى رحلات الصيد قابله أسد فقتله حمزة ومن هنا أطلقت عليه قريش صائد الأسود .

كان حمزة طبقا لما ذكرنا أنفا يتمتع بأخلاق الفروسية وكان رحيما بالضعفاء وجبارا مع الظالمين كما أنه كان يتمتع بحلاوة الحديث وقد كان أول شئ يفعله حينما يعود من رحلاته سواء كانت مع قوافل التجارة أو للصيد أنه يذهب إلى الكعبة ويطوف بها ويتبرك بالتماثيل الموضوعة بها وكان لا يمر على منتدى من منتديات قريش إلا سلم عليهم وتكلم معهم عن أحوالهم وأخبارهم وكانت منتديات قريش تتسابق لاجتذاب حمزة ليجلس فيها .

وبعد حرب الفجار دعا الزبير بن عبد المطلب أخو حمزة ومعلمه الشعر والفروسية قريش إلى إنشاء حلف الفضول فاجتمع سادة قريش فى دار عبد الله بن جدعان فتعاقدوا وتعاهدوا أن يكونوا مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه وأن يقفوا مع من ألمت به مصيبة فى ماله وأن يساعدوه حتى يتجاوز مصيبته وقد أقسموا بالله على تنفيذ ما اتفقوا عليه فى هذا الحلف ولما كان حلف الفضول هو نتاج الدعوة التى وجهها الزبير بن عبد المطلب وكان ما اتفق عليه الحلف ما يفعله حمزة بن عبد المطلب فى مكة قبل أن ينشأ هذا الحلف فإن حمزة بن عبد المطلب كان ممن حضر هذا الحلف وكان ممن دعا إليه وكان سعيدا بإنشائه .

حمزة فى مكة مع داود اليهودى

كانت حياة حمزة ما بين رحلات التجارة ورحلات الصيد وحينما كان يستقر به المقام فى مكة فإنه كان كبقية أشراف مكة يقضى نهاره فى منتديات قريش ويقضى ليله فى حانة داود اليهودى ما بين شرب الخمر تارة وفى أحضان سارة ابنة داود والتى كانت ترقص لرواد الحانة من أشراف قريش وحينما تنتهى من الرقص كانت تستقر فى أحضان من يدفع لها أكثر .

كان حمزة كغيره من أشراف قريش مولعا بسارة الجميلة وكانت سارة توزع الحب على السادة وتجمع المال فكان أبو سفيان بن حرب وعمرو بن هشام وعبد العزى ابن عبد المطلب وغيرهم ممن يذهبون إلى حانة داود .

وفى حانة داود كان اليهود يأتون من كل مكان فى الجزيرة العربية وقد سمع منهم حمزة بن عبد المطلب أن نبى أخر الزمان قد آن ميعاد بعثه وأنه سيدعو إلى عبادة إله واحد وأن اليهود ينتظرون أن يكون نبى أخر الزمان منهم ويطمعون فى حكم العالم تحت قيادة هذا النبى .

لم يكن لليهود تواجد كثيف بمكة وكان عدد قليل منهم قد استقر بهم المقام فى مكة وكدأبهم فى البحث عن الثراء احترفوا الأعمال التى تدر أموالا وفيرة كتجارة الخمور وتجارة الذهب وتجارة الرقيق الأبيض وكانت التجارة المحببة إلى قلوبهم هى تجارة السلاح فقد كانوا يبيعون السلاح للقبائل العربية ويسعون بينها بالوقيعة فتشتعل الحروب بين قبائل العرب لأتفه الأسباب وربما تستمر هذه الحروب لسنوات وكان الرابح الوحيد فى هذه الحروب هو اليهود فهم يربحون المال ويتخلصون من الأجناس الأخرى من البشر حتى يسودوا الأرض طبقا لما جاء فى أسفارهم التى وضعوها بأيديهم وما أنزل الله بها من سلطان .

كان داود اليهودى بالإضافة إلى أنه يمتلك حانة لشرب الخمر وبيع اللحم الأبيض يتاجر فى السلاح وكانت لديه ورشة لصناعة السيوف والدروع وقد اعتادت القبائل فى مكة وما حولها على شراء السلاح منه فكان يبيعهم ما يصنعه ويحضر لهم من يهود يثرب ما لا يصنعه .

كانت يثرب عكس مكة فقد انتشر فيها اليهود فكان فى يثرب يهود خيبر ويهود بنى قريظة ويهود بنى النضير

ويهود بنى قينقاع كانت الأعمال التى امتهنها اليهود فى يثرب لا تختلف عن ما سبق أن ذكرنا من المهن التى يولع بها اليهود فى كل عصر كان ليهود يثرب الدور الأكبر فى إشعال الحرب بين الأوس والخزرج والتى استمرت لسنين عدة وكانوا يبيعون السلاح للأوس والخزرج على السواء وكانوا يتحالفون مع الأوس تارة ومع الخزرج تارة حتى تستمر الحرب مستعرة وتستمر الأموال فى التدفق إليهم وحينما دعا عقلاء الأوس والخزرج إلى المصالحة فهم أبناء أم وأب واحد وهدأت يثرب بعد طول قتال بدا اليهود ينشرون ما سمعوه من أحبارهم من أن نبى أخر الزمان قد أن أوان بعثه وإنهم سوف يحكمون العرب بل والعالم أجمع تحت قيادة هذا النبى الذى سيكون منهم وكان أحبار اليهود فى يثرب يبشرون بنبى أخر الزمان ويستمع لهم أهل يثرب من الأوس والخزرج ولم تكن مكة بمنأى عن أن تنقل لها الأخبار عن طريق الحجاج الذين يأتون ليحجوا إلى البيت الحرام وكانت هذه الأخبار تصل إلى سمع حمزة ابن عبد المطلب وبخاصة فى حانة داود وعندما كان يطوف

بالكعبة فقد كان معتادا على هذا الطواف بعد كل رحلة للتجارة أو رحلة للصيد .

ولما كان حمزة قد سمع مثل غيره مقولات اليهود وأخبارهم أن نبى أخر الزمان سيكون من اليهود ولم يكن يخطر على باله أن ابن أخيه محمد بن عبد الله هو النبى الذى اختارته السماء ليكون خاتم النبيين فقد أصابته الدهشة حينما رأى أن الرسالة نزلت قريبة منه وبقى فى هذه الدهشة لفترة من الزمن حتى شرح الله صدره على النحو الذى سيرد ..... إن شاء الله تعالى .

زوجات حمزة وأبنائه

تزوج حمزة بن عبد المطلب من ثلاث زوجات أنجب منهن جميعا ، فلقد تزوج من بنت ملة بن مالك بن عبادة من الأنصار من الأوس وقد أنجبت له يعلى وعامر وقد مات عامر وهو طفل صغير .

كما تزوج حمزة من خوله بنت قيس بن فهد الأنصارية وأنجبت له عمارة بن حمزة بن عبد المطلب وبه كان يكنى .

كما تزوج حمزة سلمى بنت عميس أخت أسماء بنت عميس وأنجبت له أمامه بنت حمزة بن عبد المطلب .

ولقد تزوج يعلى بن حمزة بن عبد المطلب ورزقه الله من الأولاد ، عمارة ، والفضل ، والزبير وعقيل ، ومحمد ولقد مات هؤلاء جميعا فلم يبق لحمزة بن عبد المطلب عقب.

ولقد كانت أمامة بنت حمزة تطوف بالكعبة فى عمرة القضاء فأخذ على بن أبى طالب بيدها وذهبت معه إلى المدينة وسلمها إلى فاطمة بنت رسول الله ﷺ فاختصم فيها على بن أبى طالب وجعفر بن أبى طالب وزيد بن حارثة وكل واحد منهم يذكر أنه أحق بكفالتها فذكر على ابن أبى طالب أنها ابنة عمه وأنه أحق بها وذكر جعفر

ابن أبى طالب أنها ابنة عمه وخالتها أسماء بنت عميس عنده وهو الأحق بها وذكر زيد بن حارثة أنها ابنة أخيه لأن رسول الله ﷺ آخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب بعد الهجرة إلى المدينة المنورة وقد اشتدت الخصومة بين الثلاثة حتى ارتفعت أصواتهم لدرجة أن رسول الله ﷺ كان نائما فاستيقظ على أصواتهم العالية فقال لهم أنا أقضي بينكم فذكر كل واحد منهم حجته فى التمسك بكفالة أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب فقال فى كل واحد من الثلاثة قولا رضيه ، ثم قضى بها لجعفر بن أبى طالب لأن خالتها عنده وهى أسماء بنت عميس زوجة جعفر وذلك لاعتبار أن الخالة تقوم مقام الوالدة عند عدم وجودها .

ولعلنا نقف هنا أمام اختيار حمزة بن عبد المطلب لزوجاته فقد اختار من نساء الأنصار زوجتين فإنه كان أكثر ميلا إلى أهل المدينة لما لمس فيهم قبل البعثة من مروءة وشهامة وأخلاق حميدة ولما رأه منهم حينما بعث رسول الله ﷺ من نصرة الله ورسوله واستعدادا للتضحية بالنفس والمال والولد فى سبيل الله .

أما عن زوجته الثالثة سلمى بنت عميس بن معد ابن تميم وتنتهى فى نسبها إلى خثعم فهى من قريش وأنجبت له أمامة بنت حمزة السابق ذكرها وبعد استشهاد حمزة ابن عبد المطلب فى غزوة أحد تزوجت سلمى بنت عميس

من شداد بن الهاد الليثى وبعد زواجها أصبحت أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب فى حاجة إلى من يكفلها فحدثت واقعة الصراع على كفالتها بين صحابة رسول الله ﷺ الثلاثة حتى قضى رسول الله ﷺ لجعفر بن أبى طالب بكفالتها على النحو السابق ذكره .

لقد كان لوفاة أبناء حمزة بن عبد المطلب وأبناء ابنه يعلى دون أن يكون لهم عقب أكبر الأثر فى ندرة مصادر المعرفة بحياة حمزة بن عبد المطلب فى مراحلها المختلفة وبالتالى فقد اكتفى كتاب السيرة بالقليل الذى ذكروه عن حمزة وتواترت الكتابات دون أن تضيف جديدا عن حياة عم النبى وأسد الله ورسوله سواء فى سيرته قبل بعثة النبى ﷺ أو بعد بعثة النبى ﷺ والدور الذى قام به حمزة ابن عبد المطلب فى نصرة دين الله وفى نصرة رسول الله ﷺ حتى ارتفعت كلمة الحق عالية خفاقة وإننا مدينون لصحابة رسول الله ﷺ بالفضل فى وصول الدعوة إلينا ومن هذا المنطلق فإن صحابيا جليلا بحجم حمزة بن عبد المطلب يحتاج إلى البحث والتنقيب فى سيرته لتكون نبراسا للأجيال وأنه من النجوم التى لو اقتدينا بها فإننا سنهتدى .

لقد استحق حمزة بن عبد المطلب بما بذله فى سبيل الله أن يكتب فى السماء أسد الله ورسوله وأنه حق سيد الشهداء .

بعثة النبى وموقف حمزة

كان بدأ نزول الوحي على محمد بن عبد الله وهو فى الأربعين من عمره يعنى أن مكة كرمها الله بأن جعل خاتم الأنبياء منها بل أن التكريم يمتد إلى الجزيرة العربية بأكملها فلقد نزل وحى من السماء باللغة العربية وعلى نبى من العرب ولقد استمر نزول الوحي على محمد بن عبد الله لمدة تتراوح ما بين ثلاث أو أربع سنوات ولم يأمره الله تبارك وتعالى بالدعوة إلى الإسلام الا بعد هذه المدة وحينما بدأ محمد بن عبد الله الدعوة إلى الله فإنه دعا المقربين إليه فكان أول من دخل فى الإسلام من النساء السيدة / خديجة بنت خويلد زوجة النبى ومن الرجال كان زيد بن حارثة وهو ابن رسول الله بالتبنى وكان رسول الله ﷺ يعول على ابن أبى طالب منذ أن أدركت الفاقة أبا طالب فكان على ملازما لرسول الله وحينما بعث رسول الله كان على أول من أسلم من الصبيان وكان رسول الله ﷺ يخرج وعلى ابن أبى طالب إلى شعاب مكة لأداء الصلاة وكان هذا يتم فى سرية تامة حتى لا تعلم به قريش بل حتى لا يعلم به أعمام النبى ﷺ .

وبعد مرور سنوات من الدعوة فى سرية جاء الأمر الإلهى بأن يعلن رسول الله ﷺ الدعوة إلى الله .

قال الله تعالى ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ (الحجر: ٩٤).

لما جاء الأمر الألهى لرسول الله ﷺ بان يجهر بالدعوة إلى الإسلام وان ينذر عشيرته الأقربين فإنه صعد على جبل الصفا وقال يا معشر قريش فأقبلوا واجتمعوا وقالوا : مالك يا محمد ؟ قال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل أكنتم تصدقونى ؟ قالوا : نعم فما جربنا عليك كذبا قط ، قال : فإني نذير لكم بين يدى عذاب شديد ..... يا بنى عبد المطلب ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى زهرة إن الله أمرني أن أنذر عشيرتى الأقربين وأنا لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا لا إله إلا الله فقال : أبو لهب تبا لك سائر اليوم ! ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل تبارك وتعالى ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ ﴾ (المسد: ١).

ومنذ جهر رسول الله ﷺ بالدعوة بدأت عداوة قريش له ولعل رد عبد العزى بن عبد المطلب المكنى بأبى لهب وهو عم النبى على النبى حينما دعاهم إلى الله يوضح مدى

العنت من قريش ومدى العناء الذى سيتعرض له رسول الله ﷺ لقد استقبل أبو لهب الدعوة إلى الله التى وجهها لهم رسول الله ﷺ بالدعاء على رسول الله بالهلاك والقطع لقد بدأ رسول الله ﷺ رحلة شاقة وقاسية مع قريش فى سبيل الدعوة ...

كان حمزة بن عبد المطلب كثير الغياب عن مكة كما ذكرنا أنفا وبالتالى فإن الفترة التى كانت فيها الدعوة سرية كانت بعيدة عن سمع حمزة وإن كان قد علم بها بحكم قرابته من النبى ﷺ أما حينما جهر رسول الله ﷺ بالدعوة وبدأت قريش تناصبه العداء وتسعى إلى إيذائه فعند هذه اللحظة بدأت الدعوة تطرق مسامع حمزة فإنه من أقرب الناس لرسول الله ﷺ ويعرفه جيدا وما عهد عليه كذبا وأخذ الأمر مأخذ الجد وأخذ يديره فى رأسه ولقد أدركته الحيرة فى بداية الأمر فلقد سمع فى رحلاته أن النبى الذى أظل زمانه سوف يكون من اليهود وأن اليهود يتوعدون من ليسوا منهم بأنهم ينتظرون بعثة نبى منهم سوف يقودهم إلى سحق من خالفهم ولقد سمع هذا من أحبارهم أيضا فى حانة داود فى مكة فكيف يكون النبى من العرب ؟ وكيف يكون من بنى عبد المطلب ؟

إن حمزة الفارس الذى يتمتع برجاحة العقل قد دخل فى صراع فكرى حينما علم علما كاملا بما يدعو إليه رسول الله ﷺ .

لقد كان حمزة بالأمس يرتب حياته ما بين رحلات التجارة ورحلات الصيد وشرب الخمر وحب النساء بالإضافة إلى أنه كان يقدس الألهة التى تملأ الكعبة فكان لا يعود من اى سفر إلا وطاف بالكعبة أما اليوم فلقد أرسل الله رسولا يدعو إلى التوحيد ويدعو إلى ترك عبادة الأصنام التى صنعها الناس ليعبدوها والتى كان يجلها ويقدسها لقد وضع نصب عينيه الإجابة عن سؤال واحد هل هم فى عبادتهم للأصنام على ضلال ؟

كان عليه فى سبيل الإجابة على هذا السؤال أن يبحث فى كل ما قيل عن ابن أخيه فى صغره وعن العلامات والنبؤات التى كانت تصب فى مجرى واحد وهو أن محمدا وبحق هو الرسول الذى اختارته السماء ليبلغ رسالتها إلى الناس .

حمزة يستعيد حياة محمد ﷺ

كان حمزة فى إحدى رحلات الصيد يجوب الصحراء طولا وعرضا وكان هذا فى السنة الثانية من جهر رسول الله بالدعوة ويوافق السنة السادسة من بعثة النبى أخذ يفكر ويستعيد حياة محمد بن عبد الله بن أخيه فمر بحادثة الراهب بحيرى الذى كان نصرانيا من عبد القيس ومر عليه أبو طالب فى إحدى رحلاته إلى الشام وكان معه ابن أخيه محمد قال له سيكون لابن أخيك شان واحذر عليه من اليهود فإنهم إن عرفوه سيسعون إلى إيذائه .

كما تذكر حمزة ما قاله عراف أزد شنوءة حينما رأى محمدا وهو غلام مع أبى طالب لقد قال العراف : والله ليكونن له شأن .

وعادت إلى ذاكرته واقعة الحبر اليهودى الذى رأى محمدا وهو غلام فصاح فى أهل مكة اقتلوا هذا الغلام فإنه سوف يقتلكم ويفرق بينكم .

وما كان من أمر محمد مع حليمة السعدية التى أرضعته وما أخبرت به عن البركة التى حلت بديارها بقدوم

محمد إليها وكذلك ما وقع له عند حليمة من شق صدره وإخبار حليمة لأم رسول الله ﷺ بهذه الحادثة .

عاش حمزة كل هذه الأحداث التى كانت تنتهى إلى شئ واحد وهو أن محمدا ابن أخيه سوف يكون له شأن ولكن ما هو هذا الشأن ؟ لم يكن يعرف .

لم يعرف حمزة عن محمد أنه كذب فى أمر من الأمور وأنه الملقب فى مكة بالصادق الأمين ولما كان على ابن أبى طالب قد أخبر وهو غلام صغير برعاية محمد أنه كان يسمع الحجر وهو يسلم على محمد. كان أعمامه ينظرون إلى هذا الأمر على أنه خيال طفل صغير وكان حمزة يعتبر الأمر كذلك أيضا أما وأن الأمر قد وصل إلى أن محمدا هو رسول الله الخاتم فإن ما أخبر به على وضع فى ميزان الأحداث التى تدور بعقل حمزة. كان محمد الأمى الذى لا يعرف القراءة والكتابة هو الرسول الذى اختارته السماء ليبلغ رسالتها إلى البشر وقد كانت هذه الأمية كفيلة برد أى زعم زعمه المشركون عن رسول الله فإنه ليس شاعرا ولا كاهنا ولا مجنونا بل إنه تعلم على يدى أمين الوحى جبريل ومن علمته السماء فإنه يعلم البشر .

لقد عجز أهل الفصاحة وأرباب البلاغة من العرب عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو أن يأتوا بسورة من مثله وهم أصحاب اللغة العربية وأصحاب الشعر كما وأن القرآن جاء بأخبار السابقين من الأمم وجاء بأخبار الغيب فاخبر عن يوم القيامة وعن الجنة والنار والبعث وغير هذا من أمور الغيب كيف عرف محمد بكل هذا ؟ إنه وحى السماء الذى علمه .

لم تطل حيرة حمزة وهو يتجول فى الصحراء فإن ابن أخيه لم يكذب على أحد من البشر قط فإنه لا يكذب على الله وما يدعو إليه محمد هو الحق فكيف يدير هذا الكون مجموعة الحجارة هى الأصنام الموضوعة فى الكعبة وحولها. إن الصحراء وما تحوى من حيوانات ونباتات لا بد أن يكون هناك من يدبر أمرها والسماء وما بها من شمس تشرق فى النهار لتضئ الكون ثم تغيب ليحل محلها القمر والنجوم التى تملأ السماء .

إن منظومة الكون لتنبئ بأن لها مدبرا يصرف أمورها وأنه لا يمكن إلا أن يكون إلها واحدا هو المسيطر على هذه المنظومة إن ما يدعو إليه محمد إنه إنما يدعو إلى عبادة إله واحد .

وإنه يخبر أن الله قريب من العباد ومطلع على أمورهم ويعلم ما يسرون فى ضمائرهم ويجيب من دعاه فلا حاجة إذن لاتخاذ الأصنام واسطة كى يصل الإنسان إلى الله لقد كان المشركون يعتقدون أنهم بعبادتهم للأصنام وتقديم القرابين لها فإنها تقربهم إلى الله أما الآن فقد جاء من السماء الحق بأن عبادة هذه الأصنام هى شرك بالله وأن الله لا يغفر أن يشرك به وأن الأصنام ما هى إلا حجارة لا تملك ضرا ولا نفعا .

لقد وصل حمزة بن عبد المطلب فى هذه اللحظة إلى الحق وأدرك أن ما كان عليه هو الضلال بعينه وأنه لم يكن ليهتدى لولا أن أرسل الله رسولا يدعوهم إلى عباده الله وحده لا شريك له وأنه لولا فضل الله على الناس بإرسال الرسل ما اهتدى أحد. لقد عاش هو وأباؤه وأجداده يقدسون حجارة لا تضر ولا تنفع وكانوا سعداء بحياتهم إلى أن بعث الله محمدا مبشرا ونذيرا وهنا أدرك حمزة بن عبد المطلب مكانة رسول الله ﷺ وأهميته بالنسبة للإنسانية قاطبة فإن الله لا تنفعه الطاعات ولا تضره المعاصى وأن من إهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها كما أدرك بأن

الدنيا ليست نهاية المطاف بل إن هناك حسابا بعد الموت وجزاءا فإما ثوابا وهو الجنة وإما عقابا وهو النار .

لقد قدر الله تعالى لحمزة بن عبد المطلب الهداية

يقول الله تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ (الأعلى:١ – ٣)

لقد قدر الله تعالى منذ الأزل الهداية لحمزة ابن عبد المطلب وحينما حانت لحظتها فإن حمزة دخل فى عداد عباد الله المهتدين ويا لها من لحظة فارقة فى حياة حمزة نقلته من غياهب الإشراك بالله إلى أنوار التوحيد لقد دخل نور الإيمان إلى قلب حمزة ولم يكن له فضل فى هذا بل إن الفضل كله لله الذى قدر له الهداية ولقد شاء الله تعالى أن يكون المبلغ لرسالته إلى البشر هو محمد بن عبد الله فارتفعت مكانته فى العالمين وارتفعت فى قلب حمزة .

لقد عاد حمزة من رحلة الصيد وقلبه عامرا بالإيمان وبالإجلال والاحترام والتقدير لرسول الله ﷺ .